

خطاب جلالة الملك

جواباً عن خطاب الرئيس هوفويت بوانيي
رئيس جمهورية ساحل العاج

إنني مسرور ومتأثر بالكلمات التي عبر بها فخامة الرئيس هوفويت بوانيي. خاصة وأن هذه الكلمات التي فاه بها صديقنا الكبير تجاه بلادنا وشعبنا من شأنها أن تزيد في تراث تاريخنا.

وإنني متأثر لأن فخامة رئيس جمهورية ساحل العاج لم يتحدث بوصفه وطنياً افريقيا غيوراً فحسب ولكنه تحدث بلباقة يتأثر لها المغاربة دائماً.

أيها السادة

لقد سنحت لكم الفرصة دون شك لتقرأوا الكثير عن المهام التي تقلب فيها السيد رئيس جمهورية ساحل العاج، ولا شك أنكم سمعتم الكثير عن عمله في الحال والمآل. فقد شاءت الأقدار أن يكون هذا الضيف الكبير والمعروف بتواضعه، هو الناطق والمدافع عن افريقيا كلما واجهت مرحلة من مراحل مصيرها. وأن تطلعوا على الكثير من الأمور والأعمال المبذولة في صمت وتواضع عندما تبرز التقارير المتعلقة بها إلى حيز الوجود في الوقت المناسب.

ولا ينبغي أن ننسى أن الجنرال دغول سبق أن أسس لجنة دستورية، ولم تكن مهمة هذه اللجنة تنحصر في مناقشة الشؤون الفرنسية والالمام بها فحسب، بل كان من واجبها تحديد الاتجاه الذي ينبغي أن يسير فيه المجتمع، وكان أيضا من واجب تلك اللجنة تقنين التوازن بين هؤلاء وأولئك وبالاختصار كان ينبغي لها تحديد مصير افريقيا التي كانت خاضعة لاحتلال فرنسا، وبمعنى آخر عندما كانت القارة الافريقية أمام الاختيار بين نوع من الاستقلال وبين صيانة مصالح مشتركة على أساس احترام شخصيتها ووحدة ترابها.

وسيشهد التاريخ في يوم من الأيام أن الافريقي الوحيد الذي كان عضواً في المجلس الدستوري المدافع الوحيد على الأفارقة هو ضيفنا وصديقنا الكبير فخامة رئيس جمهورية ساحل العاج.

فقد أدى عمله بالأناة واللطافة المعروف بهما وبالحزم الذي يتحلى به كل وطني افريقي، كما فعل ذلك بتلك الدقة والحلاوة اللتين اكتسبهما الأفارقة عبر التاريخ وجعلوا منهما رصيداً فكرياً، وهكذا تمكن ضيفنا رئيس الجمهورية العاجية فخامة السيد هفويت بوانيي من تسجيل اسمه فى تلك الصفحة المجيدة وإن كان لا يعرفها حتى أصدقاؤه المقربون، وبعبارة أخرى فقد برز اسمه كعامل من أجل الخير الكبير للقارة الافريقية وبالتالي للقارات الأخرى.

وقد أبى فخامة رئيس جمهورية ساحل العاج وهو يتحدث عن بلادنا وشعبنا إلا أن يغدق علينا كثيراً من الصفات التي نأمل استحقاقها باستمرار خصوصاً وان الاستقامة ليست بالأمر الهين فالمشكل الرئيسي بالنسبة لكل أمة كبر شأنها أو صغر في أيامنا هذه هو الاستقامة، ذلك أنه يمكن أن نكون غير متساوين بين بعضنا بعضاً فيما يخص الوسائل والامكانيات والأطر، غير أنه ويا للأسف إذا نظرنا إلى مجتمعنا وإلى شبيبتنا وباختصار إلى الأسرة البشرية الكبيرة فإننا سنجد أنفسنا ونحن نعاني من نفس الألم سواء من حيث أهميته وعمقه.

لذا أقول أن عظمة الأمم لا تقاس بطاقاتها المادية والعلمية فقط، بل بطاقات التبصر والقدرة على النقد الذاتي والأخذ بزمام الأمور إذا أرادت تلك الأمم الاستمرار والاستماتة كما قلت سابقاً، لأجل ذلك يجب على كل أمة وعلى كل فرد احترام النفس، ذلك الاحترام الذي لا يتأتى إلا بالاعتبار السليم للأمور وبالضمير الذي يعتقد كل يوم أنه فعل ما يجب، وبتعبير آخر أقول إنه إذا احترم الشخص نفسه لابد أن يحترمه الآخرون، وأستسمح إذا قلت بين قوسين انه « لا ينبغي للمرء أن يتصرف بشكل يجعل الآخرين ينظرون إليه كغبي » فلن يفعلوا ذلك عندما يعلمون أن ذلك الشخص قدم إليهم امكانيته بشكل حقيقي وواقعي، وأنه فعل أقصى ما يمكن في جو من السلام والوئام والصداقة واحترام القوانين ليكتنز خيراته الطبيعية والوطنية، وأخيراً عندما يعلم الآخرون أن عمل الشخص لن يرمي إلى عزل الغير أو إلى الهيمنة ولكنه يستهدف المساهمة في العمل الجبار من أجل الصداقة والتعاون بين أبناء البشرية، ذلك ما علمه لنا الحكماء من أمثالكم يافخامة الرئيس وإننا لمسرورون بأن يكون ذلك شأننا مع عظماء مثلكم.

وكما قلتم يافخامة رئيس الجمهورية العاجية فقد كانت لي حظوة الاستمداد من رجل عرفتموه وقدرتموه حق قدره وأحببتموه.

إن جيلنا سيحكم بالبطلان على جهودكم وجهود أمثالكم إن لم يتمكن من أن يتطور يومياً وإن لم يستطع أن يفعل ما قاله الشاعر — شيلييي — إذ دعي إلى نظم قريض جديد انطلاقاً من أفكار قديمة، والواقع أن الحقائق والمتطلبات هي نفسها بل كل ما هناك أنها تكتسي مظاهر جديدة وكذلك الأمر بالنسبة لهدى الناس.

وينبغي لترتيب الوسائل أن يكتسي بدوره شكلا جديداً وكذلك الشأن بالنسبة للغايات، غير أن المهم هو أن الحوار بين أبناء البشرية يسير نحو اتخاذ الشكل الوحيد الممكن ألا وهو الشكل السليم القائم على المودة، وسنكون مسرورين ومتشرفين عندما يحين ذلك اليوم الذي سنرد فيه على زيارتكم، وإذ ذاك سنتمكن من جس نبض الشعب العاجي الذي ينبض حبه بين حنايانا، غير أننا سنشعر بنبضه أكثر من ذلك عندما نلمس كل ما يقال من محاسن عن شعبكم، وبالتالي سنتمكن من أن نرد لفخامتكم تلك الاشادة التي نحن مدينون لكم بها بوصفكم رجلا عظيماً وقيدوماً ومربياً ومجاهداً.

ولا يسعنا إلا أن نبتهج لأن زيارتكم أدت إلى توقيع الأوفاق المغربية العاجية بحضورنا فما تلك الأوفاق إلا بداية، وينبغي لنا جميعاً أن نضاعف الجهود حتى تؤدى هذه الأوفاق ثمارها في القريب العاجل.

وفي انتظار تلك الغاية أقول : ان لنا بستاناً صغيراً مشتركاً ينبغي لنا أن نعمل على خدمته بشغف، فهذا البستان يتمثل في الصداقة التي يُكنها بعضنا للبعض ونشرفها.

وأخيراً أشكر جميع الضيوف الذين شاركونا حفلنا ونحن نتمنى لفخامة رئيس جمهورية ساحل العاج مديد العمر ووافر الصحة والرفاهية.

والله أسأل أن يسدد خطانا وأن يعم على الشعب العاجي تحت قيادتكم الرشيدة بكثير من المجد والرخاء لما فيه خير افريقيا وخير البشرية قاطبة.

والسلام عليكم ورحمة الله

ألقي بالرباط

السبت 23 شعبان 1393 — 22 شتمبر 1973

هذا جواب صاحب الجلالة الملك عن خطاب الرئيس هوفويت بوانيي.

أما خطاب الرئيس العاجي فقد عبر في بدايته لجلالة الملك عن مشاعر امتنانه وامتنان الوفد العاجي الذي ما فتىء يلقى مظاهر العناية منذ وصوله إلى المغرب سواء من طرف المسؤولين أو من طرف الشعب المغربي.

وأضاف الرئيس بوانيي مخاطباً جلالة الملك : إن العناية الفائقة والمشفوعة بروح الأخوة التي أحطتمونا بها قد أحدثت في نفسنا أثراً عميقاً ؛ وستطرد يقول :

واسمحوا لي ياجلالة الملك أن أذكر أنه في ميدان السياسة الخارجية كانت إحدى الغايات الأولى لدولتنا العاجية الفتية على الصعيد الرسمي هي إبراز الشعور الفياض الذي يكنه شعبنا نحو المغرب ؛ وان هذه الرغبة قد تمت بفضل شخصية والدكم المقدس جلالة الملك الراحل محمد الخامس ؛ الذي كان تأثيره المعنوي وحنكته السياسية يفوقان بكثير إطار حدود هذه المملكة والذي بفضل بعد نظره ووطنيته الفذة تمكن من أن يخوض عمار معركة تصفية الاستعمار ويلعب فيها دوراً تاريخياً يعتبر معاصروه أن أهميته ستظل قائمة عبر التاريخ.

ولما كنا ندرك تشبثكم العميق بفكرة وعمل والدكم المنعم فإن ذلك ياجلالة الملك لم يكن مفاجأة لنا ؛ ولكننا بفرح كبير شاهدناكم تساهمون بكيفية فعالة في دعم صداقة يتطلع إليها شعبنا ؛ وإن ساحل العاج تتبع باهتمام بالغ وعطف متواصل جهود جلالتكم لتجعلوا من المملكة المغربية بلداً يرفل دائماً في حلل الرفاهية ؛ وبروح من الصداقة نشاهد جلالتكم تواصلون العمل الذي تم الشروع فيه قبلكم ثم معكم نظراً لأن بلادكم حضيت في افريقيا بشهرة كبيرة.

وبعد أن أشاد اشادة حارة بالخصال الحميدة التي يتحلى بها جلالة الملك عبر عن ارتياحه لوضعية العلاقات المغربية العاجية وتشابه أهداف ومطامح الشعبين التي تشكل عوامل ايجابية أساسية يمكن أن تبنى عليها صداقة وتعاون البلدين ، ثم لاحظ الرئيس العاجي أن سياسة بلاده تستمد قوتها من إرادة السلام والتقدم في إطار الوحدة الافريقية ودعم الوحدة الوطنية واتباع سياسة الحياد الايجابي ؛ وأردف الرئيس بوانيي يقول :

إننا نفضل دائماً المحافظة على السلام والعودة إلى الوضعية الطبيعية بدلا من الاصطدامات أو تردى العلاقات الدولية ؛ وان الاستقلال السياسي لن يكون كاملا إلا إذا كان مقروناً بالتقدم الاجتماعي والاقتصادي وفسح المجال للفرد ليعيش في حرية حقيقية.

وبعد أن أشار إلى الجهود التي تبذلها ساحل العاج في الميدان الاقتصادي والاجتماعي أضاف الرئيس العاجي قائلا : إن القرارات الأخيرة التي أعلنتها جلالتكم للشعب المغربي بمناسبة خطاب العرش في ميدان الاصلاح الزراعي ومغربة القطاع الثالث وتمديد المياه الاقليمية ومشاركة صغار الفلاحين والعمال في رأسمال وأرباح المؤسسات الصناعية والقانون الجديد للاستثمارات ؛ إن هذه القرارات تنسجم مع اهتماماتنا في ميدان سياسة التحرر الاقتصادي التي تنهجها الدولة لفائدة المصالح الوطنية.

وقال الرئيس العاجي :

إن المشكل الحقيقي والرئيسي هو أن نفرض وجودنا في القارة الافريقية في ظروف متساوية من أجل توفير الكرامة والسعادة والصحة والتربية والثقافة والمسكن الملائم ، وإبراز شخصية الانسان الافريقي ؛ وان هذا المشكل يجب في نظرنا أن تكون له الأسبقية بالنسبة لاهتماماتنا ومشاغلنا ؛ وقال : إنكم في هذا الاتجاه تعملون ياصاحب الجلالة بكل صبر وفعالية ويطيب لي أن أنوه بحرارة بعملكم الكبير مشيراً إلى أن هذه الالتفاتة تعمل لصالح افريقيا واستطرد قائلا : وأود اليوم أن أشير إلى النصيب الكبير الذي قمتم به خلال مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية الذي انعقد في عاصمة مملكتكم ؛ إن هذا المؤتمر قد عمل على تمتين أواصر العلاقات بين الدول الافريقية ؛ وساهم في تحرير شعوبها المستعمرة ، وسوف نتذكر دائما روح الرباط ؛ أن مؤتمر أديس أبابا الأخير قد أبرز عملنا الخصب وامتداداته السعيدة لاحداث ظروف جديدة للواقعية والمسامحة والتصالح ؛ إن هذه الظروف قد خلقت بفضلكم.

وحول الشرق الأوسط قال الرئيس العاجي :

إننا تبينا البيان السياسي العام حول الشرق الأوسط وتصفية الاستعمار من افريقيا ؛ وقد أعطينا تأييدنا بالاجماع للدول العربية التي تكافح من أجل تطبيق قرار 242 لشهر نونبر 1967 الصادر عن مجلس الأمن الدولي والهادف إلى انسحاب اسرائيل من الأراضي التي تحتلها وإقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ؛ ولقد اعترفنا بالاجماع كذلك بحقوق الشعب الفلسطيني.

وتطرق الرئيس العاجي في خطابه إلى العلاقات الثنائية بين المغرب وبلاده فقال :

إن العلاقات الحقيقية وسياستنا وأهدافنا التي نشكلها ؛ وفي اتجاهاتها نلتقي حول عدة نقط مشتركة لتهيب بالمغرب وساحل العاج إلى قيام تعاون أوثق وأوسع وخاصة في الميادين التقنية والثقافية والاقتصادية والتجارية ؛ إننا مدعوون لذلك على ما يظهر إلى التقييم بعد التكامل في اقتصادياتنا ونقتحم ميادين تنميتنا وهذا يجب أن يدفعنا كإخوان لنعمل في انسجام من أجل تنمية مبادلاتنا على جميع أنواعها ؛ وإننا مدعوون لذلك نظراً لأن شعبينا يتحاوران ويتبادلان الاحترام ويتعاونان ويدركان معاني التأييد والمساندة والاخلاص التي يجب أن يلقاها أحدنا في الآخر.

إن الاستقبال الذي خصصتموه لنا ياصاحب الجلالة والاستقبال الذي خصصه لنا الشعب المغربي ليعملان تاريخيا على تعزيز الأمل في أن صداقتنا وتعاوننا سيخرجان معززين وموسعين من المحادثات التي أجريناها معكم خلال مقامنا في بلدكم العزيز.

وقال : إن هذه الزيارة التي سنحتفظ بذكرياتها توشك على الانتهاء وسيكون علينا أن نغادر المملكة المغربية العريقة في التاريخ التي نترك



فيها جزءا منا ومن قلبنا ؛ وكان من المهم على ساحل العاج من خلال العلاقات الأخوية والوثيقة التي تقيمها منذ حصولها على الاستقلال أن تكون حليفة في لقاء على أرض لها تاريخ مجيد وشعب وتقاليد وشجاعة وأخلاص وأمة عصرية متعطشة إلى التقدم وإلى السلام.

وانتهى الرئيس العاجي إلى القول :

صاحب الجلالة : إن دعوتكم الأخوية قد أتاحت لي فرصة سعيدة لأواصل تعرفي بأرض المغرب ؛ وأن أحقق أمنية خامرتني دائما ؛ وإن هذا الفرح الكبير الذي أتاحته لي هذه الزيارة ليدفعني أن أقول لكم ياصاحب الجلالة وأنا أتناول نخبي : شكراً واسمحوا لي ياصاحب الجلالة أن أتناول نخبي على شرفكم وعلى شرف الشخصيات العظيمة الحاضرة هنا في هذا الحفل وأتمنى الرفاهية المطردة لهذا الشعب المغربي العظيم وتنمية الصداقة المغربية العاجية وأتمنى التقدم والوحدة لقارتنا وأخيراً السلام للعالم وقبل كل شيء لافريقيا :